من وحي الريف

ريف وروح ...

للأستاذ حبيب الزحلاوى

السرعة إحدى خصائص العصر ، وهي على رغم أخذها الناس بالسوط تستحثهم على المضى ، تهيب الأديب ، لا تجرؤ على الدنو منه ساعة سبحه فى الفراغ الطويل ، أو تأمله بدائع الكون العظيم ، أو انجذابه بسحر الطبيعة ومفاتنها

للأديب الذى يركب القطار من القاهرة إلى الأسكندرية ، أو منها إلى الصعيد بعض العذر فى رمى الريف بالصورة الواحدة ذات الوجه واللون الواحد ، وله أن يدعى الملال من الرؤى الرتيبة ، لا لأن طبيعة الريف هى كذلك ، بل لأن أثر السرعة فى نفسه أبلغ من أثر تهيئها لتقبل الجمال ولمح قسمات الروعة والبهاء المطوية والمنشورة ، البادية والخافية والتشبع منها على مهل

والريف كالمرأة فى مجموع تكوينها سحر يدرك بالغريزة ، وفى تفصيل قسماتها فتنة تعيها لطافة الحس بالاشتراك مع الشعور والذوق وتفتق البصيرة

الريف للأديب المتسرع جمال موقوت وبهجة زائلة ، ولقرينه المتأمل هيكل فى مباءة الأرواح . . .

ما سمعت من أديب ثناء على ريفنا الصامت ، بل رأيت ملامح الضجر تضج من الصمت فقلت هو ذا مظهر من مظاهر السطحية لا يقوى صاحبها إلا على مسايرة العصر فى سرعته وتسرعه ، ويعجز عن مجاراة الروح فى سبحه وتأمله وانجذابه

لم ترنى « الدقهلية » تخيلاً تبدى لى فى الصعيد بقامته الممشوقة ، وأغصانه المعروشة ، وعناقيده المدلاة ، وبلحه النحامى القاتم والذهبى الصافى اللون ، بل أرتنى منابت الأرز تلبس عشرات ألوان متناسقة متساوقة من خضرة السندسى المفرح ، تسبح فى أمواه رقراقة لا تفيض حتى يدرك النبت النضج فيتناوله المنجل ، وكأنى سمعتها تقول : « نموم فى أمواهنا نستكمل حياتنا فيها كما يستكملها الأديب الموهوب فى حب متقطع متواصل يحيا به حياة دائمة التوقد والالتهاب حتى قطعه المنجل ! »

رأيت فصول العام مستوفاة فى أرض الريف فى ساعة واحدة هنا وهناك ربيع وخريف للقطن والقمح والأذرة والبرسيم ، وهنالك صيف وشتاء لأرض تتأهب لغرس جديد

إن تعجب يا ساحبى فاعجب لقطان هذا الريف السخى إذ لا شىء أدعى للعجب بله الدهشة من تلقيك عكس ما كنت تتوقع وتتأمل

فى طباع قطان الريف جود وبخل ، حلم وسفه ، ظرف

وقد انتهى دور أفلاطون فى مسرح الدنيا ، لكن ديكنسون Dickinson استطاع أن يهيىء له فيه مرة أخرى دوراً فى محاورته « بعد ألفى عام »[1] وهى حوار بين أفلاطون وبين شاب عصرى كذلك أسدل الستار على حياة فولتير ووشنطون ونابليون ، لكن مادارياجا Madariaga أنطقهم وبثهم فى الخيال المسطور فى « ساحات الفردوس »[2] . وقد رقد المرى بعد سهاد دنياه ولكن الأستاذ العقاد أيقظه ليسجل فى صفحات « رجعة أبى العلاء » أنباء رحلته فى هذا العصر فى الدنيا الحديثة . هذا وإن كان الأستاذ العقاد قد استصوب كلام الأستاذ الحكيم فى « كناشة الأسبوع » بقوله :

« وهذا كلام جميل أصيل لا يحل به المؤلف مشكلة بريسكا وحدها ولا مشكلة الفن وحده ، بل لعله يحل به مشكلات كثيرة ، ويكشف به أسراراً كثيرة ، من مشكلات القدر وأسرار الوجود »

لقد أراد الأستاذ الحكيم أن يفسر القدر فى القصص فنظر إلى القدر فى الوجود فلم يوفق إلى حقيقتهما معاً حيث وفقت شارلوت برونتى إلى تفسير أقدار القصص برأى معقول . وللحكيم العذر فى إخفاقه لأنه سلك سبيل القدر الإلهى ، وهو عصى على الأفهام

شجعنى على إبداء هذه الملاحظات على « سُنَّة » الأستاذ الحكيم فى « مخلوقاته » الروائية ، أنه « خالق » لا يعرف الغضب ولا يشعر به ، وأنى لست مخلوقاً روائياً فأدخل فى اختصاصه ...

عبد المجيد مصطفى خليل

(١) After Two Thousand Years (٢) Elysian Fields

وسماجة ، ذكاء وبلادة ؛ ولعلى لم أتلمس وألتفت إلى الاستكانة وضدها الأنفة ، والتواضع وضده الكبرياء ، والشجاعة يقابلها الجبن ، وسهولة الخلق وتوعره ، لأنها وإن كانت من الصفات التى تسم روح الفلاح بميسم الانطلاق والحرية والاعتماد على النفس ولكنها مكبوتة فيه ، مخنوقة من الجور الذى لا تبلى جدته ، ولا يصدأ معدنه ، الجور الناعم الباسم وقد توارثته الأجيال الحاضرة عن الظالمين والمظلومين من أقدم العصور

والريف وضيء الطلعة ، واضح السنة ، كفتاة فى مستهل الصبا ، عفيفة الطوية ، إن تصدت تتصدى لأليفها ، أو للقريب من روحها ، وليس للمحة الخاطفة عندها مهما بان سناها سوى أثر البرق ...

اقتربت من فتيات ريفيات يجنين القطن ، وكنت إذ ذاك متيقظ النفس ، متشوقاً إلى رؤية جنى محصول مصر العزيز ، ولكنى ما كدت ألتى بالنظرة الخاطفة حتى غامت الرؤى فى عينى ...

لقد تذكرت الأديب فخرى أبا السعود ، هذا الرجل الذى صدمته الحياة فتغلب عليها بالموت ... تذكرته للفصل الممتع من الكتاب القيم الذى نقله إلى العربية لمؤلفه توماس هاردى فى وصف فتيات ريفيات يجمعن القمح فى الحقل ، وإنى لأنقل شذرة من الفصل للدلالة على أدب السرعة الذى نأخذ ذواتنا به لسهولته وخفته وعلى الأديب الموهوب الذى يندمج فى موضوعه فيمتزج به ، فيشيع فيهما روح واحد ، فنسمع تجاوب الروح الواحد ...

« تركت الآلة الحاصدة المحصول وراءها فى أكوام صغيرة ، كل كومة منها تصلح لأن تكون حزمة ، وعليها أكب الحاصدون بأيديهم ، وكان معظمهم من النساء ، وكان الرجال يرتدون قمصاناً وسراويلات تجمعها حول أوساطهم أحزمة من الجلد » « أما بنات الجنس الآخر فكن أهم شأناً وأمتع منظراً ، شأن المرأة حين تندمج فى مظاهر الطبيعة بدل أن تظهر بينها بمجرد ظهور ، كما هى الحال غالباً ، فالرجل فى الحقل يبدو شخصية قائمة فيه ، أما المرأة فتبدو جزءاً منه ، قد فقدت استقلال شخصيتها وتشربت روح المنظر المحيط بها ومزجت نفسها به »

وفى هذا الصباح كانت العين ترتد عفواً إلى الفتاة ذات السترة القرنفلية الشاحبة ، إذ كانت أعدل الجميع قداً ، وألينهن غصناً ، ولكنها كانت قد شدت قلنسوتها على جبينها حتى لم يعد يرى شيء من وجهها حين تنحنى ، وإن كان من الممكن التنبؤ بلون وجهها بالنظر إلى خصلات شعرها الأسود الرمادى ممتدة من تحت حافة قلنسوتها ، ولعل من أسباب طموح العين إليها أنها لا تحاول اجتذابها ، وأن تلتفت الأخريات حولها من حين إلى حين

وظلت تنحنى وتقوم فى حركة رتيبة كسير الساعة ، تستخرج من آخر كومة هيئت ملء يمناها من السنابل ، وتضرب قممها براحتها لتسوى رؤوسها ، ثم تنحنى ملياً ، وتتقدم ضامة الميدان بكلتا يديها إلى ركبتيها ، وتدفع يسراها ذات القفاز تحت الحزمة لتقابل اليمنى على الجانب الآخر ، معانقة القمح معانقة المحب ، وتجمع أطراف الحزمة وتجلس عليها وهى تربطها ، وتدفع أذيالها إلى أسفل كلما عبث بها النسيم ، وكان جزء من ذراعها يبدو عارياً بين جلد القفاز الخشن وبين كمها ناعماً رقيقاً ، وكلما تقدم النهار ابتسمت عليه الخدوش وبض منه الدم ، وكانت تعتدل قائمة من حين إلى آخر لتستريح وتصلح من مبدعها وقلنسوتها ، وعندها يرى الناظر وجه فتاة مليحة بيضاوياً ذا عينين سوداوين تحف به خصلات من الشعر الأسود سبطة تعلق بكل شيء تقع عليه ، وكان خداها أشد شحوباً ، وشفتاها الحمراوان أرق ، وأسنانها أكثر تناسقاً مما يشاهد فى بنات الريف »

سلام على ريفنا اللهم ، وعلى أديب ليستلهم فيصور ، ورحمة لفخرى أبى السعود فقد عاش وكتب بدمه ، ومات وهو يعلم أن الدم روح مسفوكة .

حبيب الزحلاوى

إدارة البلديات — الكهرباء

تقبل العطاءات بمجلس المنيا البلدى لغاية ظهر يوم ٨ يناير سنة ١٩٤١ عن توريد عدادات كهربائية وتطلب الشروط من المجلس نظير ١٠٠ مليم .

٧٥٦٦